وكانت من بني سعد في آل صَفْوان بن الحرث بن شِجْنَة [٩٢].

نسب صفوان

قال ابن هشام: صَفْوان: ابن جَنابِ بن شِجْنة بن عُطارد بن عَوْف بن كَعْب بن سَعْد بن زَيْد مَنَاةَ بن تميم.

صفوان وأبناؤه يجيزون الناس

قال ابن إسحاق: وكان صَفْوَانُ هو الذي يُجِيزُ لِلنَّاس بِالحَجِّ مِنْ عَرَفَة، ثم بَنُوه من بعده، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام كَرِبُ بن صفوان، وقال أوْسُ بن تميم بن مَغْراء السعدي [من البسيط]:

لاَ يَبْرَحُ النَّاسُ مَا حَجُّوا مُعَرِّفَهُمْ ... حَتَّىٰ يُقَالَ: أَجِيزُوا آلَ صَفْوَانَا[١]

قال ابن هشام: هذا البيت في قصيدةٍ لأَوْس بْنِ مَغْراء.

الإفاضة من المزدلفة في عدوان وشعر ذي الإصبع العدواني

وأما قول ذي الأصبع العَدْوانيُّ، واسمه حُرْثَانَ بن عَمْرو، وإنما سمي ذا الأصبع لأنه كان له أصبع فقطعها [من الهزج]:

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدْوَا ... نَ كَانُوا حَيَّةَ الأَرْضِ[٢]

بَغَىٰ بَعْضُهُمُ ظُلْماً ... فَلَمْ يُرْعَ عَلَىٰ بَعْضِ[٣]

وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَا ... تُ والْمُوفُونَ بِالْقَرْضِ[٤]

---

[٩٢] ينظر «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨).

---

(١) ويروى صدر هذا البيت هكذا:

ولا يريمون للتعريف موضعهم ....

ينظر: لسان العرب ٥/ ٣٢٦ (جوز)، ٩/ ٢٤٢ (عرف)؛ وتهذيب اللغة ١١/ ١٤٨؛ وتاج العروس ١٥/ ٧٦ (جوز)، ٢٤/ ١٤٨ (عرف)؛ ومقاييس اللغة ١/ ٤٩٤؛ وبلا نسبة في المخصص ١٢/ ٤٢.

(٢) عَذِيرَ الحي من عدوان: هي كلمة تقولها العرب: عذيري من فلان، وعذيرك من فلان، ومعناهما من يعذرني من فلان، ونصبهما نصب المصدر، حية الأرض: يريد أنهم كان أهل الأرض يهابونهم كما يهابون الحية، وقيل: حية الأرض؛ أي: حياة الأرض؛ لأنهم كانوا يقومون بالناس لجودهم وكرمهم، فكأنهم كانوا حياة للأرض وأهلها.

(٣) فلم يرع: أي لم يبق، يقال ما أرعى فلان على فلان، أي ما أبقى عليه.

(٤) والموفون بالقرض، القرض هنا: الجزاء، أي من فعل لهم شيئاً جازوه به.

وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُ النَّاسَ بِالسُّنَّةِ وَالْفَرْض
وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي فَلاَ يُنْقَضُ مَا يَقْضِي[1].

وهذه الأبيات في قصيدة له؛ فلأن الإفاضة من الْمُزْدَلِفَةِ كانت في عَدْوان ـ فيما حدثني زيادُ بن عبد الله الْبَكَّائي، عن محمد بن إسحاق ـ يَتَوَارَثُونَ ذَلِكَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ، حَتَّى كَانَ آخِرَهُمْ الَّذِي قَامَ عَلَيْه الإِسْلاَمُ أبو سَيَّارة عُمَيْلَةُ بن الأعزل، ففيه يقول شاعر من العرب [من الرجز]:

نَحْنُ دَفَعْنَا عَنْ أَبِي سَيَّارَهْ وَعَنْ مَوَالِيهِ بَنِي فَزَارَهْ[2]
حَتَّى أَجَازَ سَالِماً حِمَارَهْ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ يَدْعُو جَارَهْ[3]

قال: وكان أبو سَيَّارة يَدْفَعُ بالنَّاسِ عَلَى أَتَانٍ[4] له، فلذلك يقول: «سَالِماً حِمَارَهْ».

عامر بن الظرب العدواني حكم العرب

قال ابن إسحاق: وقوله «حَكَمٌ يَقْضِي» يعني عامر بن ظَرِب بن عَمْرو بن عِياذ بن يَشْكُر بن عَدْوانَ الْعَدْواني، وكانت العرب لا تكون بينها نائرة[5] ولا عُضْلة[6] في قضاء إلا أسندوا ذلك إليه، ثم رَضُوا بما قضى فيه، فاخْتُصم إليه في بعض ما كانوا يختلفون فيه في رجل خُنْثِي: له ما للرجل، وله ما للمرأة، فقالوا: أتجعله رجلاً أو امرأة؟ ولم يأتوه بأمرٍ كانَ أعضلَ مِنْهُ[7]، فقال: حتى أَنْظُرَ في أمركم فوالله ما نزل بي مثلُ هذه منكم يَا مَعْشَرَ

---

(١) ويروى البيت الثاني هكذا:

بغى بعضهم بعضًا فلم يبقوا على بعض

ينظر: ديوانه ص ٤٦؛ والاشتقاق ص ٢٦٩؛ والأغاني ٣/ ٨٥؛ وأمالي الزجاجي ١/ ٢٢١؛ والحيوان ٤/ ٢٣٣؛ وخزانة الأدب ٥/ ٢٨٦؛ وشرح أبيات سيبويه ١/ ٢٩٨؛ والشعر والشعراء ٢/ ٧١٢؛ والكتاب ١/ ٢٧٧؛ ولسان العرب ٤/ ٥٤٧ (عذر)، ١٤/ ٢٢٠ (حيا)؛ وتاج العروس (حيا)؛ والمقاصد النحوية ٤/ ٣٦٤؛ وبلا نسبة في أمالي المرتضى ١/ ٢٥٠؛ ولسان العرب ١٥/ ٤٣ (عدا).

(٢) يروى هذا الرجز هكذا:

خلو الطريق عن أبي سياره وعن مواليه بني فزاره
حتى يجيز سالمًا حماره

ينظر: لسان العرب (سير ـ جوز) وتاج العروس (سير ـ جوز) ومعجم البلدان (٢/ ٧٣) (ثبير).

(٣) في أبي سَيَّارة: مستقبل القبلة يدعو جاره: أي يدعو الله تعالى: يقول: اللهم كن لي جاراً ممن أخافه، أي مجيراً.

(٤) الأتان: الأنثى من الحُمر.

(٥) النائرة: الكائنة الشنيعة تكون بين القوم.

(٦) العضلة: الأمر الشديد الذي لا يعلم له وجه. والعضلة أيضاً من أسماء الداهية.

(٧) أعضل منه: أي أشد أنكالاً.

العَرَب، فاستأخَرُوا عنه، فبَاتَ لَيْلَتَهُ ساهراً يُقلِّب أمْرَهُ وينظر في شأنه، لا يتوجَّه له منه وجه، وكانت له جارية يقال لها سُخَيْلة تَرْعى عليه غنمه، وكان يعاتبها إذا سَرَحَتْ، فيقول: صَبَّحْتِ والله يا سُخَيْل، وإذا رَاحَتْ عليه قال: مَسَّيْتِ واللهِ يا سُخَيْل؛ وذلك أنها كانت تؤخر السرح حتى يسبقها بعضُ الناس، وتؤخر الإراحة حتَّى يسبقها بعضُ الناس، فلما رأت سَهَرَه وقَلَقَه وقِلَّةَ قَرَاره على فراشه قالت: مَالَكَ لاأَبَالَكَ!! مَا عَرَاكَ[1] في ليلتك هذه؟ قال: ويْلَكِ دعيني، أمْرٌ ليس من شأنِك؛ ثم عادت له بمثل قولها، فقال في نفسه: عسى أن تأتي مما أنا فيه بِفَرَجٍ، فقال وَيْحَكِ!! اخْتُصِم إليَّ في ميراثِ خُنثى أأجعله رَجُلاً أو امرأة، فَواللهِ ما أدري ما أَصْنَعُ، وما يتوجه لي فيه وجه؛ فَقَالَتْ: سُبْحَانَ الله!! لاَ أَبَالَك!! أَتْبِع الْقَضَاء الْمَبَالَ أقعِدْهُ فإن بال من حيث يبول الرجل فهو رجل، وإن بال من (٢٢/ أ) حيث تبول المرأة فهي امرأة، قال: مَسِّي سُخَيْلُ بَعْدَهَا أوْ صَبِّحِي فَرُجْتِهَا والله، ثم خرج على الناس حين أصبح فقضى بالذي أشارت عليه به [٩٣].

غَلَبُ قُصَيِّ بْنِ كِلاَبٍ عَلَىٰ أَمْرِ مَكَّةَ، وَجَمْعُهُ أَمْرَ قُرَيْشٍ، وَمَعُونَتُهُ خُضَاعَةَ لَهُ

قصي بن كلاب يغلب على أمر مكة وقتاله لصوفة

قال ابن إسحاق: فلما كان ذلك العام فعلت صُوفَةُ كما كانت تفعل وقد عرفت ذلك لها العربُ، وهو دِينٌ في أنفسهم، في عَهْد جُرْهم وخُزَاعَةَ وولايتهم، فأتاهم قُصَيُّ بن كلاب بمن معه من قومه من قُرَيش وكِنَانَةَ وقُضَاعَة عند الْعَقَبة، فقال: لَنَحْنُ أولى بهذا منكم، فقاتلوه، فاقتتل الناس قِتالاً شدِيداً، ثُمَّ انهزمتْ صُوفة، وغلبهم قُصَيّ على ما كان بأيديهم من ذلك.

قتال قصي لخزاعة وبني بكر وتحاكمهم

وانْحَازَتْ عند ذلك خُزَاعةُ وبنو بَكْرٍ عن قُصَي، وَعَرفُوا أَنَّه سَيَمْنَعُهُمْ كمَا مَنَعَ صُوفَة، وأنه سَيَحُولُ بينهم وبين الكعبة وأمر مَكَّةَ، فلما انحازُوا عنه بَادَاهُم، وأجمعَ لحربهم، وَخَرَجَتْ له خزاعة وبنو بكر، فالتقوا، فاقتتلوا قتالاً شدِيداً، حتى كثرت القتلى في الفريقين

---

[٩٣] ينظر «البداية والنهاية» (٢/ ٢٦٢).

---

(١) ما عراك: أي ما أصابك وما نزل بك، يقال: عراه يعروه إذا ألم به ونزل.

جميعاً، ثم إنهم تَداعَوْا إلى الصُّلْحِ، وإلى أن يُحكِّمُوا بينهم رَجُلاً من العرب، فحكَّموا يَعْمُر بن عَوْف بن كَعْب بن عامر بن لَيْث بن بَكْر بن عَبْد مَنَاةَ بن كنانة، فقضى بينهم بأن قُصَيًّا أَولَى بالكعبة وأَمْرِ مَكَّةَ من خُزَاعَةَ، وأن كل دم أصابه قصي من خزاعة وبني بكرٍ مَوْضُوعٌ يَشْدَخُه[1] تحتَ قدميهِ، وأن ما أَصَابَتْ خُزَاعَةُ وبنو بَكْرٍ من قريش وكِنَانَةَ وقُضَاعَةَ ففيه الدِّيَةُ مُؤَدَّاة، وأن يخلى بين قُصَيٍّ وبين الكَعْبَةِ وَمَكَّةَ؛ فسمى يعمر بن عوف يومئذ الشَّدَّاخ؛ لِمَا شَدَخَ مِنَ الدِّمَاءِ وَوَضَعَ مِنْهَا [٩٤].

قال ابن هشام: ويقال: الشُّدَاخ.

ولاية قصي أمر مكة

قال ابن إسحاق: فولى قصي البَيْتَ وأَمْرَ مَكَّةَ، وجمع قَوْمَهُ مِنْ منازلهم إلى مكةَ، وتملَّك على قومِه وأهل مكة فملَّكُوهُ، إلا أنه قد أقرَّ للعرب ما كانُوا عَلَيْهِ، وذلك أنه كانَ يراهُ دِيناً في نفسه لا ينبغي تغييره، فأقرَّ آل صَفْوان وعَدْوان والنَّسَأة ومُرَّة بن عوف على ما كانوا عليه، حَتَّى جَاءَ الإِسْلاَمُ، فهدم الله به ذلك كله.

قصي أول بني كعب يلي ملكاً

فكان قصي أَوَّلَ بَنِي كَعْب بن لؤي أصاب مُلْكاً أطاع له به قَوْمُهُ، فكانت إليه الحجابةُ[2] والسِّقاية[3] والرِّفَادَة[4] والنَّدْوَة[5] واللِّوَاء[6]، فحاز شَرَفَ مَكَّةَ كُلَّهُ، وقطع مكة رِبَاعاً بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها، ويزعم الناس أن قريشاً هابوا قَطْع شَجَرِ الحَرَمِ في منازلهم، فَقَطَعَها قُصَيٌّ بيده وأعوانُهُ، فَسَمتْه قريش مُجَمِّعاً لما جمع من أمرها، وتيمنت بأمره، فما تنكح امْرَأَةٌ، ولا يتزوج رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وما يتشاورون في أمر نزل بهم، ولا يَعْقدون لواء لحربِ قومٍ من غيرهم؛ إلا في

---

[٩٤] ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٢٦٤). وينظر «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨).

---

(١) يشدخه تحت قدميه: أصل الشدخ: الكسر، يقال: شدخ الشيء إذا كسره، وأراد به ها هنا أنه أبطل تلك الدماء ولم يجعل لها حظاً، ولذلك قال: تحت قدميه.

(٢) الحِجابة: حجابة البيت، وهو أن تكون مفاتيح البيت عنده، فلا يدخله أحد إلا بإذنه.

(٣) السقاية: يعني سقاية زمزم، وكانوا يصنعون بها شراباً في الموسم للحاج الذي يوافي مكة، ويمزجونه تارة بعسل وتارة بلبن وتارة بنبيذ يتطوعون بذلك من عند أنفسهم.

(٤) الرفادة: طعام كانت قريش تجمعه كل عام لأهل الموسم، ويقولون هم أضياف الله ـ تعالى ـ.

(٥) الندوة: الاجتماع للمشورة والرأي وكانت الدار التي اتخذها قصي لذلك، يقال لها دار الندوة.

(٦) اللواء: يعني في الحرب لأنه كان لا يحمله عندهم إلا قوم مخصوصون.

دارِهِ: يعقِدُهُ لهم بعضُ ولده، وما تَدْرَعُ جاريةٌ إِذَا بَلَغَتْ أنْ تَدْرَعَ من قريش إلا في داره: يُشَقُّ عليها فيها درعُهَا ثم تَدْرعه ثم يُنطلق بها إلى أهلها، فكان أَمْرُهُ في قومه من قريش في حياتِهِ ومن بَعْدِ مَوْتِهِ كالدِّين المتبع لاَ يُعْمَلُ بغيره، واتخذ لنفسه دَارَ النَّدْوَةِ، وجعل بَابَها (٢٢/ب) إلى مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ، ففيها كانت قريشٌ تقضي أُمُورَهَا [٩٥].

قال ابن هشام: وقال الشاعر [من الطويل]:

قُصَيٌّ لَعَمْرِي كَانَ يُدْعَىٰ مُجَمِّعاً ... بِهِ جَمَعَ اللّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فِهْرِ[1]

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الملك بن راشد، عن أبيه، قال: سمعت السائب بن خَبَّاب صاحب المقصورة يحدث، أنه سَمِعَ رَجُلاً يحدث عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، وهو خليفة، حديث قُصَيِّ بن كلاب ومَا جَمَّع من أمر قومه وإخراجه خُزَاعةَ وبَني بَكْرٍ من مكة، وولايته البيت، وأمر مكة، فلم يَرُدَّ ذلك عليه ولم يُنْكِرْهُ [٩٦].

شعر رزاح بن ربيعة في إخراج خزاعة

قال ابن إسحاق: فلما فَرَغَ قُصَيٌّ من حَرْبِهِ أَنْصَرَفَ أَخُوهُ رِزَاحُ بن ربيعة إلى بلاده، بمن معه من قومه؛ وقال رِزاح في إجابته قُصَيًّا [من المتقارب]:

---

[٩٥] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨) حدثنا ابن حميد ثنا سلمة عن ابن إسحاق به. وينظر «البداية والنهاية» (٢/ ٢٦٣).

[٩٦] إسناده مسلسل بالعلل. عبد الملك بن راشد مجهول لم يرو عنه غير ابن إسحاق. ينظر «التاريخ الكبير» (٥/ ٤١٢)، و«الجرح والتعديل» (٥/ ٣٥٠). وراشد أبوه أيضاً مجهول كما في «الجرح والتعديل» (٣/ ٤٨٦). قلت: زاد البخاري رحمه الله في «تاريخه» (٥/ ٤١٢) علة غريبة وهي الانقطاع بين محمد بن إسحاق وعبد الملك بن راشد. ونحن نرى في هذا الإسناد أن ابن إسحاق صرح بالتحديث عنه فقال: حدثني عبد الملك ثم رجعنا إلى «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٥٩) فوجدنا عنده الإسناد هكذا: محمد بن إسحاق عن عبد الملك بن راشد وأظن والله أعلم أن هذا هو الصواب وأن ثمة تحريف وقع في نسختنا من السيرة. ويؤيد كلام البخاري رحمه الله أن الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٢٤/ ٤٠٥) لم يذكر في شيوخ ابن إسحاق هذا الرجل. والله أعلم.
والسائب بن الخباب صاحب المقصورة مولى فاطمة بنت عتبة قال الحافظ في «التقريب» (١/ ٢٨٢): له صحبة مات قبل ابن عمر. والأثر أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٥٩) ثنا ابن حميد ثنا مسلمة ثنا ابن إسحاق به.

---

(١) يروى صدر هذا البيت هكذا: ـ

أبوكم قصيٌّ كان يدعى مُحَمِّعًا ....

ينظر: البداية والنهاية (٢/ ٢٦٤)، وتاريخ الطبري (٢/ ٢٥٦)، وجمهرة اللغة (ص: ٧٣)، وخزانة الأدب (١/ ٢٠٣)، ولسان العرب (٨/ ٦٠) (جمع)، والاشتقاق (ص: ١٥٥).

لَـمَّـا أَتَـى مِـنْ قُـصَـيٍّ رَسُـولُ ... فَـقَـالَ الـرَّسُـولُ: أَجِـيبُـوا الْـخَـلِـيـلاَ

نَـهَـضْـنَـا إِلَـيْـهِ نَـقُـودُ الْـجِـيَـادَ ... وَنَـطْـرَحُ عَـنَّـا الْـمَـلُـولَ الـثَّـقِـيـلاَ

نَـسِـيرُ بِـهَـا الـلَّـيْـلَ حَـتَّـى الـصَّـبَـاحِ ... وَنَـكْـمِـي الـنَّـهَـارَ لِـئَـلاَّ نَـزُولاَ[1]

فَـهُـنَّ سِـرَاعٌ كَـوِرْدِ[2] الْـقَـطَـا ... يُـحِـبْـنَ بِـنَـا مِـنْ قُـصَـيٍّ رَسُـولاَ

جَـمَـعْـنَـا مِـنَ الـسِّـرِّ مِـنْ أَشْـمَـذَيْـنِ ... وَمِـنْ كُـلِّ حَـيٍّ جَـمَـعْـنَـا قَـبِـيـلاَ[3]

فَـيَـا لَـكِ حَـلْـبَـةَ مَـا لَـيْـلَـةٍ ... تَـزِيـدُ عَـلَـى الأَلْـفِ سَـيْـبـاً رَسِـيـلاَ[4]

فَـلَـمَّـا مَـرَرْنَ عَـلَـى عَـسْـجَـرٍ ... وَأَسْـهَـلْـنَ مِـنْ مُـسْـتَـنَـاخٍ سَـبِـيـلاَ[5]

وَجَـاوَزْنَ بِـالـرُّكْـنِ مِـنْ وَرِقَـانٍ ... وَجَـاوَزْنَ بِـالْـعَـرْجِ حَـيًّـا حُـلُـولاَ[6]

مَـرَرْنَ عَـلَـى الْـجِـلِّ مَـا ذُقْـنَـهُ ... وَعَـالَـجْـنَ مِـنْ مَـرَّ لَـيْـلاً طَـوِيـلاَ[7]

نُـدَنِّـي مِـنَ الْـعُـوذِ أَفْـلاَءَهَـا ... إِرَادَةَ أَنْ يَـسْـتَـرِقْـنَ الـصَّـهِـيـلاَ[8]

فَـلَـمَّـا انْـتَـهَـيْـنَـا إِلَـى مَـكَّـةٍ ... أَنَـخْـنَـا الـرِّجَـالَ قَـبِـيـلاً قَـبِـيـلاَ

نُـعَـاوِرُهُـمْ ثَـمَّ حَـدَّ الـسُّـيُـوفِ ... وَفِـي كُـلِّ أَوْبٍ خَـلَـسْـنَـا الْـعُـقُـولاَ[9]

نُـخَـبِّـزُهُـمْ بِـصِـلاَبِ الـنُّـسُـو ... رِ خَـبْـزَ الْـقَـوِيِّ الـعَـزِيـزِ الـذَّلِـيـلاَ[10]

---

(١) ورد البيت الخامس من هذه الأبيات في لسان العرب (شمذ)، وتاج العروس (شمذ).
«نكمي النهار لئلا نزولا» فنكمي أي: نستتر، كما يقال: كمى يكمي إذا استتر، وقال بعضهم ومنه سميَّ الكميُّ وهو الشجاع؛ لأنه يكمي شجاعته حتى يظهرها في الحرب.

(٢) الورد: ها هنا الواردة للماء، سميت باسم المصدر.

(٣) قال الشيخ أبو ذر الخشني: أشمذين، يقال: هما قبيلتان، ويقال: جبلان، ومن رواه: من أسبذين فهي كلمة أعجمية قالوا هو منسوب إلى أسبذ هو فرس كان في الجاهلية، والأسبذ بالفارسية: الفرس.

(٤) الحلبة: جماعة الخيل. والسيب: هنا المشي السريع في رفق، كما تنساب الحية، والرسيل: الذي فيه تمهل.

(٥) عسجر: بالراء: اسم موضع، وأسهلن: أي حللن الموضع السهل.

(٦) ورقان: اسم موضع، وهو بفتح الراء وكسرها، والعرج: موضع أيضاً.

(٧) الجِلّ: هكذا وقعت هنا، وفي بعض النسخ «الحَلْي»، قال الشيخ أبو ذر: الحلي: اسم موضع فيه ماء، وقال بعضهم هو اسم نبات. وهذا غلط لأن اسم النبات هو الحلي بتشديد الياء وبكسر اللام، ومن رواه: الحفر فهي البئر الواسعة غير المطوية، ومن رواه: على الحل، فهو اسم موضع أيضاً، ورواه أبو يحيى: على الحيل، وقال: هو الماء المستنقع في بطن الوادي، ومرُّ: اسم موضع.

(٨) والعوذ: التي لها أولاد من الإبل أو من الخيل.

(٩) نعاورهم: أي نداولهم مرة بعد مرة، والأوب: الرجوع.

(١٠) نخبزهم: نسوقهم سوقاً شديداً، ونخبزهم أيضاً: نقطعهم. =

قَتَلْنَا خُزَاعَةَ فِي دَارِهَا ... وَبَكْراً قَتَلْنَا وَجِيلاً فَجِيلا[1]
نَفَيْنَاهُمُ مِنْ بِلاَدِ الْمَلِيكِ ... كَمَا لاَ يَحُلُّونَ أَرْضاً سُهُولاَ
فَأَصْبَحَ سَبْيُهُمُ فِي الْحَدِيدِ ... وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ شَفَيْنَا الْغَلِيلا[2]

شعر ثعلبة القضاعي

وقال ثعلبة بن عبد الله بن ذُبْيَان بن الحرث بن سَعْد هُذَيم القُضَاعي في ذلك من أمر قصي حين دعاهم فأجابوه [من الرافر]:

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مُضْمَرَةً تَغَالَىٰ ... مِنَ الأَعْرَافِ أَعْرَافِ الْجِنَابِ[3]
إِلَىٰ غَوْرَىٰ تِهَامَةَ فَالْتَقَيْنَا ... مِنَ الْفَيْفَاءِ فِي قَاعٍ يَبَابِ[4]
فَأَمَّا صُوفَةُ الْخُنْثَىٰ فَخَلَّوْا ... مَنَازِلَهُمْ مُحَاذَرَةَ الضِّرَابِ
وَقَامَ بَنُو عَلِيٍّ إِذْ رَأَوْنَا ... إِلَى الأَسْيَافِ كَالإِبِلِ الطِّرَابِ[5]

وقال قُصَيُّ بْنُ كِلاَبٍ [من الوافر]:

أَنَا ابْنُ الْعَاصِمِينَ بَنِي لُؤَيٍّ ... بِمَكَّةَ مَنْزِلِي وَبِهَا رَبِيتُ[6]
إِلَى الْبَطْحَاءِ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ ... وَمَرْوَتُهَا رَضِيتُ بِهَا رَضِيتُ[7]
فَلَسْتُ لِغَالِبٍ إِنْ لَمْ تَأَثَّلْ ... بِهَا أَوْلاَدُ قَيْذَرَ وَالنَّبِيتُ[8]

= وقوله: «بصلاب النسور» يعني: الخيل، والنسور: جمع نسر، وهو اللحم اليابس الذي في باطن الحافر.

(١) والجيل: الأمة من الناس والجماعة.

(٢) ينظر: البداية والنهاية (٢/ ٢٦٥).

(٣) جلبنا الخيل مضمرة تغالي: أي ترتفع في السير من المغالاة وهي الارتفاع والتزيد في السير، والأعراف هنا: جمع عرف وهو الرمل المرتفع المستطيل، والجناب: اسم موضع.

(٤) الغور: المنخفض، وتهامة: ما انخفض من أرض الحجاز، والفيفاء: الصحراء، والقاع: المنخفض من الأرض، واليباب: القفر.

(٥) قال الخشني: كالإبل الظراب، يروى بالظاء معجمة، وبالطاء غير معجمة، فمن رواه بالظاء معجمة فهو جمع ظرب وهو الجبيل الصغير، شبه الإبل بها، ومن رواه بالطاء المهملة فهي الإبل التي حنت إلى مواطنها واشتاقت، يقال: طربت الإبل إذا حنّت.

(٦) «أنا ابن العاصمين بني لؤي»: أراد أنهم يعصمون الناس ويمنعونهم لكونهم أهل البيت والحرم. وينظر: جمهرة اللغة (ص: ١٣٠٦)، ولسان العرب (١٤/ ٣٠٧) (رب) وتهذيب اللغة (١٥/ ٢٧٥)، والخصائص (١/ ٣٤٦)، وأساس البلاغة (ص: ١٥٣) (ربو).

(٧) البطحاء: موضع متسع سهل بـ «مكة»، والمروة: معلوم، وهي واحدة المرو، وهي الحجارة.

(٨) قال الخشني: إن لم تأثل بها، أي: إن لم تقم بها إقامة ثابتة، يقال: تأثل فلان بموضع كذا: إذا أقام به واستقر ولم يبرح. وأولاد قيذر والنبيت، يعني بني إسماعيل عليه السلام.

رِزَاحٌ نَـاصِـرِي وَبِـهِ أُسَـامِـي فَلَسْتُ أَخَافُ ضَيْماً مَا حَبِيتُ[1] [٩٧]

رزاح بن ربيعة ونهد وحوتكة وشعر قصي في ذلك

فلما استقر رِزاحُ بن ربيعة في بلاده نَشَرَه الله ونَشَر حُنًا، فهما قبيلا عذرة اليوم، وقد كان بين رِزاح بن ربيعة ـ حين قدِم بلاده ـ وبين نَهْدِ بن زَيْد وحَوْتكة[2] بن أَسْلم ـ وهما بطنان (٢٣/أ) من قُضَاعة ـ شيءٌ، فأخافهم حتى لحقوا باليمن، وأُجْلُوا من بلاد قُضَاعَةَ، فهم اليوم باليمن، فقال قُصَيُّ بْنُ كِلاَبٍ، وكان يحب قُضَاعة ونَمَاءها واجتماعها ببلادها؛ لما بينه وبين رِزاح من الرَّحم، ولبلائهم عنده[3] إذ أجابوه إذ دعاهم إلى نصرته، وكره ما صنع بهم رزاح [من الوافر]:

أَلاَ مَـنْ مُـبْـلِـغٌ عَـنِّـي رِزَاحـاً فَـإِنِّـي قَـدْ لَـحَـبْـتُـكَ فِـي ٱثْـنَـتَـيْـنِ[4]
لَـحَـيْـتُـكَ فـي بَـنِـي نَـهْـدِ بْـنِ زَيْـدٍ كَـمَـا فَـرَّقْـتَ بَـيْـنَـهُـمُ وَبَـيْـنِـي
وَحَـوْتَـكَـةُ بْـنُ أَسْـلُـمَ إِنَّ قَـوْمـاً عَـنَـوْهُـمْ بِـالْـمَـسَـاءَةِ قَـدْ عَـنَـوْنِـي

قال ابن هشام: وتروى هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلبي.

قصي يخص ولده البكر عبد الدار بما كان له

قال ابن إسحاق: فلما كَبِرَ قُصَيٌّ ورَقَّ عظمه، وكان عبدُ الدَّارِ بِكْرَه، وكان عبدُ مناف قد شَرُفَ في زمان أبيه، وذَهَبَ كُلَّ مَذْهَب، وعبدُ الْعُزَّى وعبدٌ؛ قال قصيٌّ لعبد الدار: أما والله يا بني لأُلْحِقَنَّكَ بالقوم، وإن كانوا قد شَرفُوا عليك؛ لا يدخل رجلٌ منهم الكعبةَ حتى

---

[٩٧] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦) عن ابن إسحاق.

---

(١) الضيم: الذل. وينظر: البداية والنهاية (٢/ ٢٦٥، ٢٦٦).

(٢) قال السهيلي: «في قضاعة عذرتان: عذرة بن رفيدة (بضم الراء، وفتح الفاء)، وهم من بني كلب بن وبرة، وعذرة بن سعد بن سود بن أسلم (بفتح الهمزة وضم اللام) بن إلحاف بن قضاعة، وأسلم هذا من ولد حن بن ربيعة أخي رزاح بن ربيعة جد جميل بن عبد الله بن معمر صاحب بثينة، وبثينة أيضاً من ولد حن» اهـ، ثم قال: «وليس في العرب أسلمُ (بضم اللام) إلا ثلاثة: اثنان في قضاعة: أسلمُ بن إلحاف هذا، وأسلمُ بن تدول بن تيم اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب، والثالث في عِك: أسلم بن القيانة بن غافق بن الشاهد بن عك، وما عدا هؤلاء فأسلم (بفتح اللام) ذكره ابن حبيب في المؤتلف والمختلف» اهـ.

(٣) لبلائهم عنده: أي لنعمتهم عنده، ويدهم عليه. والبلاء يكون النعمة ويكون العذاب ويكون الاختبار.

(٤) لحيتك في اثنتين: أي لمتك، يقال: لحيت الرجل إذا لمته.

تكون أنت تفتحها له، ولا يَعْقِدُ لقريش لواء لحربها إلا أنت بيدك، ولا يشرب أحدٌ بمكة إلا من سِقايتك، ولا يأكل أحدٌ من أهل الموسم طعاماً إلا من طعامك، ولا تقطعُ قريش أمراً من أمورها إلا في دارك؛ فأعطاه داره دار النَّدْوَة التي لا تَقضي قريشٌ أمراً من أمورها إلا فيها، وأعطاه الحِجابة واللِّواء والسِّقاية والرِّفادة.

الرفادة

وكَانَتِ الرِّفادة خَرْجاً تُخْرجه قريشٌ في كُلِّ مَوْسِمٍ من أَمْوَالِهَا إِلَى قُصَيِّ بْنِ كِلاَبٍ، فيصنعُ به طعاماً للحاجِّ، فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد، وذلك أن قُصَيًّا فرضه على قريش، فقَالَ لَهُمْ حِينَ أَمَرَهُمْ به: يَا مَعْشَرَ قريش، إنكم جِيرَانُ الله، وأهلُ بَيْتِه، وأَهْلُ الْحَرَمِ، وَإِنَّ الْحُجَّاج ضيفُ الله [وأهلُه] وزُوَّارُ بيته، وهم أَحَقُّ الضيفِ بِالْكَرَامَةِ، فاجْعَلُوا لهم طَعاماً وشَرَاباً أيامَ الْحَجِّ حَتَّى يَصْدُروا عَنْكُم، فَفَعَلُوا، فكانوا يُخرجُونَ لذلك كُلَّ عَامٍ من أموالهمْ خَرْجاً، فيدفعونه إِلَيه، فَيَصْنَعُهُ طَعَاماً للنَّاس أَيَّامَ منىً، فجرى ذلك مِنْ أمره في الجاهليةِ على قَوْمه، حَتَّى قَامَ الإِسْلاَمُ، ثُمَّ جرى في الإِسْلاَمِ إِلَى يَوْمِكَ هَذَا، فهو الطَّعامُ الَّذِي يصنعه السلْطَانُ كُلَّ عامٍ بمنىً للناس حتى ينقضي الحَجُّ.

قال ابن إسحاق: حدثني بهذا من أمر قصي بن كلاب وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه مما كان بيده أبي إسحاقُ بن يَسَار، عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، قال: سمعته يَقُولُ ذلك لِرَجُلٍ مِنْ بني عبدِ الدَّارِ يقال له نُبَيْه بن وَهْب بن عامر بن عِكْرِمة بن عامر بن هاشم بن عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بن قُصَيٍّ، قال الْحَسَنُ: فجعل إليه قُصَي كُلَّ مَا كَانَ بيده من أمر قومه، وكان قصي لا يُخَالَف، ولا يُرَدُّ عليه شيء صنعه [٩٨].

ذِكْرُ مَا جَرَىٰ مِنِ اخْتِلاَفِ قُرَيْشٍ بَعْدَ قُصَيٍّ، وَحِلْفِ المُطَيَّبِينَ

اختلاف بني عبد مناف بن قصي وبني عبد الدار بن قصي

قال ابن إسحاق: ثُمَّ إِنَّ قُصَيَّ بن كلاب هلك، فأقام أمْرَه في قومه وفي غيرهم بَنُوه من بعده، فاختطُّوا مكة رِبَاعاً، بعد الذي كان قطع (٢٣/ ب) لقومه بها، فكانوا يقطعونها في قومهم وفي غيرهم من حلفائهم ويبيعونها، فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم

---

[٩٨] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٦٠) حدثنا ابن حميد ثنا سلمة عن ابن إسحاق بهذا الإسناد.

اختلاف ولا تنازع، ثم إن بني عبد مناف بن قصيّ عبدَ شَمْسٍ وهاشماً والْمُطَّلِبَ وَنَوْفَلاً أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قصي، مما كان قُصَيٌّ جعل إلى عَبْدِ الدَّارِ من الحِجابة واللِّواء والسِّقاية والرِّفادة، ورأَوْا أنهم أَوْلَى بذلك منهم؛ لِشَرَفِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَفَضْلِهِمْ في قَوْمِهِمْ، فَتَفَرَّقَتْ عند ذلك قُرَيْشٌ: فكانت طائفة مع بني عَبْدِ مَنَافٍ عَلَى رَأْيِهِمْ، يَرَوْن أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِهِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ؛ لِمَكَانِهِمْ في قومهم، وكانت طائفةٌ مع بني عبد الدَّارِ، يَرَوْنَ ألا لا يُنْزَعَ منهم ما كان قصي جَعَلَ إِلَيْهِمْ، فكان صاحبُ أمر بني عبد مناف عَبْدَ شَمْسِ بن عَبْدِ مناف، وذلك أنه كان أَسَنَّ بني عبد مناف، وكان صاحبُ أمر بني عبد الدار عامرَ بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وكان بنو أسد بن عبد الْعُزَّى بن قصي وبنو زُهْرَةَ بن كِلاَبٍ وبنو تَيْم بن مُرَّة بن كعب وبنو الْحرِث بن فِهْرِ بن مالك بن النضر مع بني عبد مناف، وكان بنو مخزوم بن يَقَظة بن مُرَّة وبنو سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب وبنو جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيص بن كَعْبٍ وبنو عَدِيُّ بن كَعْب مع بني عَبْدِ الدَّارِ، وخرجت عامرُ بن لُؤَيّ ومُحارب بن فِهْر؛ فلم يكونوا مع واحد من الفريقين.

تحالف كل فريق مع أنصاره

فعقد كُلُّ قوم عَلَى أَمْرِهِمْ حِلْفاً مُؤَكَّداً، على ألا لاَ يَتَخَاذَلُوا، ولا يُسْلِم بَعْضُهُمْ بَعْضاً، ما بَلَّ بحرٌ صوفةً.

المطيبون بنو عبد مناف وحلفاؤهم

فأخرج بنو عَبْدِ مَنَافٍ جَفْنَةً مملوءة طِيباً؛ فيزعمون أَنَّ بَعْضَ نِسَاءِ بني عَبْدِ مَنَافٍ أَخْرَجَتْها لهم[1]، فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة، ثم غَمَسَ الْقَوْمُ أيديهم فِيها، فتعاقدُوا وتَعَاهَدُوا هُمْ وحُلَفَاؤُهُمْ، ثُمَّ مَسَحُوا الكعبة بأيديهم توكِيداً على أَنْفُسِهِمْ، فَسُمُّوا الْمُطَيَّبِينَ.

الأحلاف

وَتَعَاقَدَ بَنُو عَبْدِ الدَّار، وتعاهَدُوا هُمْ وحُلَفَاؤُهُم عند الكَعْبَةِ حِلْفاً مؤكَّداً على ألا يتخاذلوا، ولا يُسْلِم بعضهم بعضاً، فسُمُّوا الأَحْلاَفَ.

ثم سُوِنِدَ[2] بين القبائل، ولُزَّ[3] بَعْضُها ببعض، فَعُبِّيَتْ بنو عبد مناف لبني سهم،

---

(١) «فيزعمون أن بعض نساء بني عبد مناف»، قال الزبير بن بكّار: هي أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب، يعني المرأة التي أخرجت لهم ا لجفنة مملوءة طيباً.

(٢) المساندة: المقابلة والمعاونة أيضاً.

(٣) لُزَّ: أي شد بعضها ببعض.

وعُبَيْتٌ بنو أسد لبني عبد الدار، وعُبَيْتٌ بنو زهرة لبني جُمَح، وعُبَيْتٌ بنو تَيْم لبني مخزوم، وعُبَيْتٌ بنو الحرث بن فِهْرٍ لبني عَدِيّ بن كعب، ثم قالوا: لِتُغِرْ كُلُّ قبيلة على من أسند إليها.

الصلح بين الفريقين

فبينا النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ قَدْ أَجْمَعُوا لِلْحَرْبِ إِذْ تَدَاعَوْا إلى الصُّلْحِ، عَلَى أن يُعْطُوا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ السِّقَايَة والرِّفادة، وأن تكون الحِجابة واللِّواء والندوة لبني عبد الدار كما كانت، ففعلوا، ورضي كل واحد من الفريقين بذلك، وتحاجز النَّاسُ عن الْحَرْبِ، وَثَبَتَ كُلُّ قَوْمٍ مَعَ مَنْ حَالَفُوا، فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الله تعالى بالإسلام [٩٩]، فقال (٢٤/أ) رسول الله ـ ﷺ ـ «مَا كَانَ مِنْ حِلْفٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّ الإِسْلاَمَ لَمْ يَزِدْهُ إلاَّ شِدَّةً» [١٠٠].

---

[٩٩] قال البيهقي في «السنن الكبرى» (٦/٣٦٦): وبلغني أنه إنما قيل حلف المطيبين لأنهم غمسوا أيديهم في طيب يوم تحالفوا وتصافقوا بأيمانهم وذلك حين التنازع بين عبد مناف وبنى عبد الدار فيما كان بأيديهم من السقاية والحجابة والرفادة واللواء والندوة فكان بنو أسد بن عبد العزى في جماعة من قبائل قريش تبعاً لبني عبد مناف فكان لهم بذلك شرف وفضيلة وصنيعة في بني عبد مناف وقد سماهم محمد بن إسحاق بن يسار فقال المطيبون من قبائل قريش بنو عبد مناف هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل وبنو زهرة وبنو أسد بن عبد العزى وبني تيم وبنو الحارث بن فهر خمس قبائل.

[١٠٠] هذا الحديث صحيح وقد ورد عن جماعة من الصحابة وهم جبير بن مطعم، وابن عباس وقيس بن عاصم وعبد الله بن عمرو وأم سلمة.

حديث جبير بن مطعم

أخرجه مسلم (٤/١٩٦١) كتاب فضائل الصحابة باب مؤاخاة النبي ﷺ بين الصحابة حديث (٢٠٦ ـ ٢٥٣٠) وأبو داود (٣/١٢٩) كتاب الفرائض: باب في الحلف حديث (٢٩٢٥) وأحمد (٤/٨٣) وأبو يعلى (١٣/٤٠٣ ـ ٤٠٤) رقم (٣٤٠٦) وابن حبان (١٠/٢١٤ ـ ٢١٥) رقم (٤٣٧١، ٤٣٧٢) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/٢٣٨) والطبراني في «الكبير» (١٥٩٧) والطبري في «تفسيره» (٥/٣٦) عنه مرفوعاً بلفظ: لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة.

ـ حديث ابن عباس

أخرجه أحمد (١/٣١٧، ٣٢٩) والدارمي (٢/٢٤٣) كتاب السير، وأبو يعلى (٤/٢٢٥) رقم (٢٣٣٦) وابن حبان (٤٣٧٠) والطبري في «تفسيره» (٥/٣٦) كلهم من طريق شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً. وسنده ضعيف شريك بن عبد الله القاضي صدوق سيء الحفظ ورواية سماك عن عكرمة فيها اضطراب.

والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/١٧٦) وقال: رواه أبو يعلى وأحمد باختصار ورجالهما رجال الصحيح. وفيه نظر فشريك ليس من رجال مسلم احتجاجاً وسماك عن عكرمة مضطرب وليس في الصحيح هذا الإسناد.

حِلْفُ الفُضُولِ

قال ابن هشام: وأما حلف[1] الْفُضُول[2] فحدثني زيادة بن عبد الله الْبَكَّائي عن محمد

ـ حديث قيس بن عاصم
أخرجه أحمد (٥/ ٦١) والطيالسي (١٠٨٤) والحميدي (١٢٠٦) وابن حبان (٤٣٦٩) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٢٣٩) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣٣٧) رقم (٨٦٤، ٨٦٥) والطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٧) من طريق شعبة بن التوأم عن قيس بن عاصم به.
ـ حديث عبد الله بن عمرو
أخرجه أحمد (٢/ ٢٠٥)، ٢١٥) وابن الجارود في «المنتقى» رقم (١٠٥٢) والطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٦) والبيهقي (٦/ ٣٣٥) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.
ـ حديث أم سلمة
أخرجه أبو يعلى (١٣/ ٣٣٠) رقم (٦٩٠٢) وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٧٦) وقال: رواه أبو يعلى والطبراني وفيه جدة بن جدعان ولم أعرفها وبقية رجاله ثقات.

---

(١) الحِلْف: بكسر الحاء المهملة وإسكان اللام وهو العهد والبيعة.

(٢) كان هذا الحلف في ذي القعدة قبل المبعث بعشرين سنة مُنصرف قريش من الفجار ولرسول الله ﷺ يومئذ عشرون سنة. وكان أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب.
وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ. وكان سببه أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصي بن وائل السهمي وكان ذا قدر وشرف بمكة فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف عبد الدار ومخزوماً وجمحاً وسهماً فأبوا أن يعينوا الزبيدي على العاصي بن وائل وزبروه ونهروه فلما رأى الزبيدي الشر رقى على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في أنديتهم حول الكعبة فقال بأعلى صوته [من البسيط]:

يَا آلَ فِهْرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُه ... بِبَطْنِ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّفَرِ
ومُحرِمٍ أَشْعَثٍ لَمْ يَقْضِ عُمْرَتَهُ ... يَا لَلرِّجَالِ وَبَيْنَ الحِجْرِ وَالْحَجَرِ
إِنَّ الْحَرَامَ لِمَنْ تَمَّتْ مَكَارِمُهُ ... وَلاَ حَرَامَ لِثَوْبِ الفَاجِرِ الغُدُرِ

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال ألهذا متروك؟ فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاماً فحالفوا في القعدة في شهر حرام قياماً فتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى إليه حقه ما بلّ بحر صوفة وما رسا حراء وثبير مكانهما، وعلى التآسي في المعاش. فسمّت قريش ذلك الحلف حلف الفضول وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضول من الأمر. ثم مشوا إلى العاصي بن وائل. فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه، واختلفوا فيه فقيل سمي بذلك لأنه كان قد سبق قريشاً فيما قاله ابن قتيبة إلى مثل هذا الحلف جرّهم في الزمن الأول فتحالف منهم ثلاثة هم ومن تبعهم أحدهم: الفضل بن فضالة. والثاني: الفضل بن وداعة. والثالث: الفضل بن الحارث. هذا قول القتبي. وقال الزبير: الفضل بن شراعة والفضل بن قضاعة فلما أشبه حلف الآخر فعل هؤلاء الجرهميين سمي حلف الفضول، والفضول جمع فضل وهي أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم. =

بن إسحاق، قال: تَدَاعَتْ قَبَائِلُ مِنْ قُرَيْشٍ إلى حِلْفٍ، فاجتمعوا له في دار عَبْدِ الله بن جُدْعان بن عَمْرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيٍّ لشرفه وسِنِّه فكان حِلْفُهم عنده؛ بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العُزَّى، وزُهْرَة بن كلاب، وتَيْمُ بن مُرَّةَ؛ فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بِمكة مَظْلُوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حَتَّى ترد عليه مَظْلمته؛ فسمت قريش ذلك الحلفَ حِلْفَ الفُضُولِ [١٠١].

رسول الله يحدث أنه شهد حلف الفضول

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قُنْفذ التَّيْميُّ أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ الله بْنِ جُدْعَانَ حِلْفاً مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ وَلَوْ أُدْعَى بِهِ فِي الإِسْلاَمِ لأَجَبْتُ» [١٠٢].

---

[١٠١] ينظر «البداية والنهاية» (٢/ ٣٥٥).

[١٠٢] مرسل حسن الإسناد.

محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ روى له الجماعة سوى البخاري. ووثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة وابن حبان ينظر «تهذيب الكمال» (٢٥/ ٢٣٢) وطلحة بن عبد الله بن عوف الزهري. قال الحافظ في «التقريب» (١/ ٣٧٩). ثقة مكثر فقيه من الثالثة. والحديث أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٣٦٧) كتاب قسم الفيء والغنيمة: باب إعطاء الفيء على الديوان، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر بن الحسن القاضي قالا: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق به. وقد جاء هذا الحديث موصولاً من طريق طلحة فأخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ١٠٣) أخبرنا محمد بن عمر قال: فحدثني محمد بن عبد الله عن الزهري عن طلحة بن عبد الله بن عوف عن عبد الرحمن بن أزهر عن جبير بن مطعم به مرفوعاً وقال محمد بن عمر: ولا نعلم أحداً سبق بني هاشم بهذا الحلف.

قلت: وهذا إسناد ضعيف جداً محمد بن عمر الواقدي متروك الحديث. وللحديث شواهد مرفوعة من حديث عبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة وابن عباس يرتقي بها مرسل ابن إسحاق إلى الصحة. =

= قال السهيلي: وهذا الذي قاله ابن قتيبة حسن ولكن في الحديث ما هو أقوى منه. روى الحميدي عن سفيان عن عبد الله بن محمد وعبد الرحمن بن أبي بكر قالا: قال رسول الله ﷺ: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دعيت به في الإسلام لأجبت تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها ولا يعزّ ظالم على مظلوم».

قلت: الظاهر أن قوله: تحالفوا إلى آخره ـ مدرج من بعض رواته وليس بمرفوع، فلا دلالة حينئذ فيه.

وقيل: إنما سمي حلف الفضول لأنهم أخرجوا فضول أموالهم للأضياف.

ينظر: سبل الهدى والرشاد (٢/ ١٥٤ ـ ١٥٥).

الحسين بن علي والوليد بن عتبة

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي اللَّيْثي، أن محمد بن إبراهيم بن الحرث التَّيْمِيَّ حدثه أنه كَانَ بَيْنَ الْحُسَيْنِ بن عِلْي بن أَبي طَالِبٍ رضي الله عنهما وبين الوليد بن عُتْبَةَ بن أَبي سُفْيَان ـ والوليدُ يومئذٍ أميرٌ على المدينة، أَمَّرَهُ عليها عَمُّهُ

= ـ حديث عبد الرحمن بن عوف

أخرجه أحمد (١/ ١٩٠، ١٩٣) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٥٦٧) والحاكم (٢/ ٢٢٠) وابن حبان (٢٠٦٢ ـ موارد) وأبو يعلى (٢/ ١٥٦ ـ ١٥٧) رقم (٨٤٤ ـ ٨٤٦) والبزار (١٩١٤ ـ كشف) والطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٦) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٣٦٦) كتاب قسم الفيء باب إعطاء الفيء على الديوان، وفي «دلائل النبوة» (٢/ ٣٧ ـ ٣٨) وابن عدي في «الكامل» (٤/ ٣٠١) كلهم من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف مرفوعاً: شهدت حلف المطيبين فما أحب أن لي حمر النعم وأني أنكثه.

وقال البزار: لا نعلمه يروى إلا عن عبد الرحمن بن عوف. رُوي عنه من غير وجه وهذا أحسن إسناد يروى في ذلك ولا روى جبير عن عبد الرحمن إلا هذا. وقال ابن عدي: عبد الرحمن بن إسحاق ـ وهو عباد بن إسحاق المديني ـ في حديثه بعض ما ينكر ولا يتابع عليه وهو صالح الحديث كما قال ابن حنبل. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وصححه ابن حبان.

وعبد الرحمن بن إسحاق الذي مدار الحديث عليه. قال أحمد: صالح الحديث. واختلف فيه قول ابن معين فقال: ثقة. وقال مرة: صويلح، وقال أخرى: صالح. وقال يعقوب بن سفيان: ليس به بأس وقال يعقوب بن شيبة: صالح. وقال أبو داود ثقة.

وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال الحافظ في «التقريب» صدوق رمى بالقدر.

ينظر «تهذيب الكمال» (١٦/ ٥٢٢ ـ ٥٢٤) والتقريب (١/ ٤٧٢). وعليه فالإسناد حسن إن شاء الله.

والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٧٥) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجال حديث عبد الرحمن بن عوف رجال الصحيح اهـ. قلت: وهو كما قال فعبد الرحمن بن إسحاق روى له مسلم واستشهد به البخاري في صحيحه وروى له في الأدب المفرد.

ـ حديث أبي هريرة

أخرجه ابن حبان (٢٠٦٣ ـ موارد) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٣٦٦) كتاب قسم الفيء باب إعطاء الفيء على الديوان، وفي «دلائل النبوة» (٢/ ٣٨) من طريق معلى بن مهدي ثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: ما شهدت من حلف قريش إلا حلف المطيبين وما أحب أن لي حمر النعم وأني كنت نقضته.

ومعلى بن مهدي

قال أبو حاتم: أدركته ولم أسمع منه يحدث أحياناً بالمناكير. وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال الذهبي: من العباد الخيرة صدوق في نفسه. ينظر «الجرح والتعديل» (٨/ ٣٣٥)، و«الثقات» (٩/ ١٨٢) و«الميزان» (٤/ ١٥١).

ـ حديث ابن عباس

أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٦) وفي سنده مصعب بن المقدام. قال الحافظ في «التقريب» (٢/ ٢٥٢): صدوق له أوهام. وأخيراً بانضمام هذه الشواهد لمرسل طلحة بن عبد الله بن عوف يرتقي الحديث إلى الصحة بلا شك.

معاوية بن أبي سفيان؛ مُنَازَعَةٌ في مال كان بينهما بذي الْمَرْوَة، فكان الوليد تَحَامَلَ عَلَى الْحُسَيْنِ فِي حَقِّه لسُلْطَانه، فقال له حُسَيْنٌ: أَحْلِفُ بالله لَتُنْصِفَنِّي من حقي أو لآخُذَنَّ سيفي. ثم لأقومَنَّ في مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ ثم لأدْعُوَنَّ بِحِلْفِ الفُضُولِ، قال: فقال عبد الله بن الزبير وهو عند الوليد حين قال حسين ما قال: وأَنَا أَحْلِفُ بِاللهِ لَئِنْ دَعَا بِهِ لآخُذَنَّ سيفي ثم لأقُومَنَّ معه حتى يُنْصَفَ من حقه أو نَمُوتَ جميعاً، قال: وبلغت الْمِسْوَرَ بن مَخْرَمَة بن نوفل الزُّهْرِيَّ فقال مثل ذلك، وبلغت عبد الرحمن بن عُثْمان بن عبيد الله التَّيْمِيَّ فقال مِثْلَ ذلك، فلما بلغ ذاك الوليدَ بن عُتْبَةَ أنصفَ الحُسَيْنَ مِنْ حقه حَتَّى رَضِيَ [١٠٣].

ابن جبير بن مطعم يخبر عبد الملك بن مروان أن قومهما لم يدخلوا حلف الفضول

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي اللَّيْثِيُّ، عن محمد بن إبراهيم بن الحرث التَّيْمي، قال: قدم محمد بن جُبَير بن مُطْعم بن عَدِيّ بن نَوْفل بن عبد مناف، وكان محمد بن جبير أعْلَمَ قريش، فَدَخَلَ على عبدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ـ حين قَتَلَ ابْنَ الزُّبَيْر واجتمع الناسُ على عبد الملكِ ـ فلما دَخلَ عليه قال له: يا أبا سعيد، ألم نكنْ نحنُ وأنتم ـ يعني بني عبد شمسِ بن عبد مناف، وبني نوفل بن عبد مناف ـ في حِلْفِ الفُضُولِ؟ قال: أَنْتَ أعلَمُ، قال عبد الملك: لَتُخْبِرَنِّي يا أبا سعيد بالحق من ذلك، فقال: لا والله لقد خرجنا نحن وأنتم منه، قال: صَدَقْتَ [١٠٤].

هاشم بن عبد مناف يلي الرفادة والسقاية

قال ابن إسحاق: فولِيَ الرِّفادةَ والسقايةَ هاشمُ (٢٤/ ب) بن عبد مناف، وذلك أن عبد شمس كان رَجُلاً سَفَّاراً قَلَّما يُقيم بـ «مَكَّةَ»، وكان مُقِلاً ذا ولد، وكان هاشم موسراً، فكان ـ فيما يزعمون ـ إذا حضر الحج قام في قريش فقال: يا معشر قُرَيْشٍ، إنكم جيرانُ الله

---

[١٠٣] إسناده حسن. يزيد بن عبد الله بن أسامة، قال ابن معين والنسائي: ثقة. وقال أحمد: لا أعلم به بأساً. ووثقه أبو حاتم وكذلك ابن حبان فذكره في الثقات. ومحمد بن إبراهيم التيمي ثقة أيضاً. وينظر «تهذيب الكمال» (٣٢/ ١٧١). والأثر ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨) من طريق ابن إسحاق.

[١٠٤] إسناده حسن، وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد.

وأهل بيته، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زُوَّار اللهِ وحُجَّاجُ بيته، وهم ضَيْفُ اللهِ، وأحقُّ الضيف بالكرامة ضَيْفُهُ، فاجْمَعُوا لهم ما تصنعون لهم به طعاماً أيَّامَهُمْ هذه التي لا بُدَّ لهم من الإقامة بِهَا؛ فإنّه واللهِ لو كَانَ مالي يَسَعُ لذلك ما كَلَّفْتُكُمُوه، فيُخرجون لذلك خَرْجاً من أموالهم: كُلُّ امرىء بقدر ما عنده، فيُصْنع به للحجاج طعامٌ حتَّى يصدروا مِنْهَا.

مآثر هاشم على قومه

وكان هاشم، فيما يزعمون، أولَ من سَنَّ الرِّحلتين لقريش: رحلة الشتاء، والصيف، وأوَّلَ من أَطْعَمَ الثَّرِيدَ لِلْحُجَّاجِ بِمَكَّةَ، وإنَّمَا كَانَ اسْمُهُ عَمْراً فما سمي هاشماً إلا بهَشْمِه الخبزَ بمكة لقومه، فقال شاعر من قريش أو من بعض العرب [من الكامل]:

عَمْرُو الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ ... قَوْمٍ بِمَكَّةَ مُسْنِتِينَ عِجَافِ

سُنَّتْ إِلَيْهِ الرِّحْلَتَانِ كِلاَهُمَا ... سَفَرُ الشِّتَاءِ وَرِحْلَةُ الإِيلاَفِ[1] [١٠٥]

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز [من الكامل]:

.... قَوْمٍ بِمَكَّةَ مُسْنِتِينَ عِجَافِ

---

[١٠٥] اختلف في قائل هذه الأبيات كما في «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) فقال: واسم هاشم عمرو وإنما قيل له هاشم لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمه وله يقول مطرود بن كعب الخزاعي ـ وقال ابن الكلبي: إنما قاله ابن الزبعري: فذكر البيتين.

---

(١) قوم بمكة مسنتين عجاف: قال ابن سراج: هو ابن الزبعري، وقيل هذان البيتان من جملة الأبيات المنسوبة إلى مطرود بن كعب في الجزء الثالث من هذا الكتاب التي أوّلها:

يَـأَيُّـهَـا الـرَّجُـلُ الـمُـحَـوِّلُ رَحْـلَـه ... هَـلاَّ نَـزَلْـتَ بِـآلِ عَـبْـدِ مَـنَـافِ

والمُسْنِتون هُمُ الَّذين أصابَتْهم السَّنَةُ، وهي سَنَةُ القَحْطِ والجُوع. يُقال: أسنت القومُ، إذا أصابتهم السنة الشديدة، ولا يقال: أسنت إلا في هذا وحدة. وعجاف من العجف وهو الهزال والضعف، ويروى عجز البيت الأول هكذا: ـ

.... ورجال مكة مسنتون عجاف

البيت لمطرود بن كعب الخزاعي في الاشتقاق ص ١٣؛ وأمالي المرتضى ٢/ ٢٦٨؛ ومعجم الشعراء ص ٢٠٠؛ ولعبد الله بن الزبعري في أمالي المرتضى ٢/ ٢٦٩؛ ولسان العرب ٢/ ٤٧ (سنت)، ١٢/ ٦١١ (هشم)؛ وتاج العروس (هشم)؛ والمقاصد النحويّة ٤/ ١٤٠؛ وبلا نسبة في الإنصاف ٢/ ٦٦٣؛ ورصف المباني ص ٣٥٨؛ وسر صناعة الإعراب ٢/ ٥٣٥، وشرح شواهد الإيضاح ص ٢٨٩؛ وشرح المفصل ٩/ ٣٦؛ والمقتضب ٢/ ٣١٢، ٣١٦؛ والمنصف ٢/ ٢٣١؛ ونوادر أبي زيد ص ١٦٧، والروض الأنف (١/ ١٦١).

المطلب بن عبد مناف يلي السقاية والرفادة

قال ابن إسحاق: ثم هَلَكَ هاشمُ بنُ عَبْدِ منافٍ بغَزَّةَ من أرض الشَّام تاجراً، فولي السِّقايةَ والرِّفادةَ من بعده المطلبُ بن عبد مناف، وَكَانَ أَصْغَرَ من عَبْدِ شَمْسٍ وَهاشِم، وكان ذا شَرَفٍ في قَوْمِهِ وفَضْلٍ، وكانت قريش إنما تسميه الْفَيْضَ؛ لِسَمَاحَتِهِ وَفَضْلِهِ، وَكَانَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ قَدِمَ المدينة فتزوج سَلْمَى بنت عمرو أحد بني عدي بن النَّجار، وكانت قَبْلَهُ عند أُحَيْحَة بن الْجُلاَح بن الْحَريش[1] (قال ابن هشام: ويقال الحريس) بن جَحْجَبي بن كُلْفة بن عَوْف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس؛ فولدت له عَمْرَو بن أُحَيْحة، وكانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حَتَّى يشترطوا لها أنَّ أمْرَها بيدها: إذا كرهت رجلاً فارقته، فولدت لهاشم عبدَ المطلب، فسمته شيبة فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفاً أو فوق ذلك، ثُمَّ خَرَجَ إليه عَمُّه المطلب ليقبضه فيُلْحِقه ببلده وقومه، فقالت له سَلْمَى: لست بمرسلتُه مَعَكَ، فَقَالَ لَهَا المطلب: إنِّي غير منصرف حتى أخرج به معي، إن ابن أخي قد بلغ وهو غريب في غير قومه، ونحن أهل بيتِ شرفٍ في قومنا؛ نلي كثيراً من أمرهم، وقومه وبلده وعشيرته خير له من الإقامة في غيرهم، أو كما قال، وقال شيبةُ لعمه المُطَّلِبَ فيما يزعمون: لست بمفارقها إلا أن تأذن لي، فأذنت لَهُ، ودفعته إليه، فاحتمله، فَدَخَلَ به مَكَّةَ مُرْدِفَهُ معه على بعيره، فقالت قُرَيْشٌ: عَبْدُ المطلبِ، ابتاعه، فبها سمي شيبةُ عبدَ المطلب، فقال (٢٥/أ) المطلب: وَيْحَكُمْ!! إنما هو ابن أخي هاشم، قدمت به من المدينة.

وفاة المطلب بن عبد مناف ورثاؤه

ثمَ هَلَكَ المُطَّلِبُ بـ «دمان» من أرض اليمن، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ يَبْكيه [من الرجز]:

قَدْ ظَمِيءَ الْحَجِيجُ بَعْدَ الْمُطَّلِبْ ... بَعْدَ الْجِفَانِ وَالشَّرَابِ الْمُنْشَعِبْ[2]

لَيْتَ قُرَيْشاً بَعْدَهُ عَلَىٰ نَصَبْ[3]

---

(١) عبد أحيحة بن الجلاح بن الحريش. وقع في الرواية هناك بالشين والسين. قال الدارقطني: ذكر الزبير بن بكار أن جميع ما في الأنصار «الحِرَيسُ» بالسين مهملة إلا جد أحيحة هذا فإنه الحريش بالشين معجمة.

(٢) ظميء: أي عطش، والظمآن العطشان، والشراب المنشعب: هو الكثير السائل. يقال انشعب الماء، إذا سال من موضع حصر فيه.

(٣) على نصب: أي على تعب وعذاب، والنصب أيضاً: حجارة تكون على جوانب حرف البئر، والنصب في غير هذا الموضع: حجارة كانوا يذبحون لها في الجاهلية.

وقال مَطْرود بن كَعْبَ الْخُزَاعي يبكي المطلب وبني عبد مناف جميعاً حين أتاه نعى نوفل بن عبد مناف؛ وكان نوفل آخرهم هلكاً [من السريع]:

يَا لَيْلَةً هَيَّجْتِ لَيْلاَتِ ... إِحْدَىٰ لَيَالِيَّ الْقَسِيَّاتِ[1]

وَمَا أُقَاسِي مِنْ هُمُومٍ وَمَا ... عَالَجْتُ مِنْ رُزْءِ الْمَنِيَّاتِ

إِذَا تَذَكَّرْتُ أَخِي نَوْفَلاً ... ذَكَّرَنِي بِالأَوَّلِيَّاتِ

ذَكَّرَنِي بِالأُزُرِ الْحُمْرِ والْـ ... أَرْدِيَةِ الصُّفْرِ الْقَشِيبَاتِ[2]

أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمُ سَيِّدٌ ... أَبْنَاءُ سَادَاتٍ لِسَادَاتِ

مَيْتٌ بِرَدْمَانَ وَمَيْتٌ بِسَلْـ ... ـمَانَ وَمَيْتٌ بَيْنَ غَزَّاتِ[3]

وَمَيْتٌ أُسْكِنَ لَحْداً لَدَى الْـ ... مَحْجُوبِ[4] شَرْقِيَّ الْبَنِيَّاتِ

أَخْلَصَهُمْ عَبْدُ مَنَافٍ فَهُمْ ... مِنْ لَوْمِ مَنْ لاَمَ بِمَنْجَاةِ[5]

إِنَّ الْمُغِيرَاتِ وَأَبْنَاءَهَا ... مِنْ خَيْرِ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتِ

وكان اسْمُ عَبْدِ مَنَافٍ الْمُغِيرَةَ، وكان أولَ بني عبد مناف هُلْكاً هاشمٌ بـ «غَزَّةَ» من أرض الشام، ثم عبد شَمس بـ «مكة»، ثم المطلب برَدْمَان من ناحية أرض اليمن، ثم نوفل بِسَلْمَان من ناحية العراق، فقيل لمطرود ـ فيما يزعمون ـ: لَقَدْ قُلْتَ فَأَحْسَنْتَ، وَلَوْ كَانَ أَفْحَلَ مِمَّا قُلْتَ كَانَ أَحْسَنُ، فقال: أَنْظِرُوني[6] ليالي، فمكث أياماً، ثم قال [من البسيط]:

يَا عَيْنُ جُودِي وَأَذْرِي الدَّمْعَ وَانْهَمِرِي ... وَابْكِي عَلَى السِّرِّ مِنْ كَعْبِ الْمُغِيرَاتِ[7]

يَا عَيْنُ وَاسْحَنْفِرِي بِالدَّمْعِ وَاحْتَفِلِي ... وَابْكِي خَبِيئَةَ نَفْسِي فِي الْمُلِمَّاتِ[8]

---

(١) القسيات: يعني الشدائد، والقاسي والقسيُّ الشديد، ومن رواه: العشيّات: فمعناه المظلمات، من العشا في العين، وهو ضعف البصر.

(٢) القشيبات: الجديدات، وثوب قشيب: أي جديد.

(٣) بين غزّات: أراد غزّة، وهي من أرض الشام، فجمعها مع ما حولها.
وروي «عند» بدل «بين»، وينظر البيت في: معجم ما استعجم ص (٩٩٧) (غزة)، ولسان العرب (٥/ ٣٨٨) (غزز)، وتهذيب اللغة (١٦/ ٤٥)، وتاج العروس (١٥/ ٢٥٩) (غزز)، ومعجم البلدان (٤/ ٢٠٢) (غزة).

(٤) لدى المحجوب، يعني: بيت الله الكعبة.

(٥) بمنجاة: أي بناحية من اللّوم، يقال هو بمنجاة من كذا أي برىء منه، لا يلحقه ومن رواه بالحاء فذلك معناه.

(٦) أَنْظِرُوني: أَخِّرُوني.

(٧) انهمري: أي صبي صبًّا كثيراً، والإنهمار: كثرة المطر والماء والدمع، والسرُّ: الخالص النسب هنا.

(٨) اسحنفري: أي أديمي الدَّمع، واحتفلي: أي اجمعيه، من احتفال الضَّرع، وهو اجتماع اللبن فيه. والملمّات: حوادث الدّهر أي التي تلمُّ بالإنسان أي تنزل به.

وَٱبْكِي عَلَىٰ كُلِّ فَيَّاضٍ أَخِي ثِقَةٍ ... ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ وَهَّابِ الْجَزِيلاَتِ[1]

مَحْضِ الضَّرِيبَةِ عَالِي الْهَمِّ مُخْتَلَقٍ ... جَلْدِ النَّحِيزَةِ نَابٍ بِالْعَظِيمَاتِ[2]

صَعْبِ الْبَدِيهَةِ لاَ نِكْسٍ وَلاَ وَكِلٍ ... مَاضِي الْعَزِيمَةِ مِثْلاَفِ الْكَرِيمَاتِ[3]

صَقْرٍ تَوَسَّطَ مِنْ كَعْبٍ إِذَا نُسِبُوا ... بُحْبُوحَةَ الْمَجْدِ وَالشُّمِّ الرَّفِيعَاتِ[4]

ثُمَّ ٱنْدُبِي الْفَيْضَ وَالْفَيَّاضَ مُطَّلِباً ... وَٱسْتَخْرِطِي بَعْدَ فَيْضَاتٍ بِجَمَّاتِ[5]

أَمْسَىٰ بِرَدْمَانَ عَنَّا الْيَوْمَ مُغْتَرِباً ... يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ بَيْنَ أَمْوَاتِ[6]

وَٱبْكِي لَكِ الْوَيْلُ إِمَّا كُنْتِ بَاكِيَةً ... لِعَبْدِ شَمْسٍ بِشَرْقِيِّ الْبَنِيَّاتِ

وَهَاشِمٍ فِي ضَرِيحٍ وَسْطَ بَلْقَعَةٍ ... تَسْفِي الرِّيَاحُ عَلَيْهِ بَيْنَ غَرَّاتِ[7]

وَنَوْفَلٍ كَانَ دُونَ الْقَوْمِ خَالِصَتِي ... أَمْسَىٰ بِسَلْمَانَ فِي رَمْسٍ بِمَوْمَاةِ[8]

لَمْ أَلْقَ مِثْلَهُمُ عُجْماً وَلاَ عَرَباً ... إِذَا ٱسْتَقَلَّتْ بِهِمْ أُدْمُ الْمَطِيَّاتِ[9]

أَمْسَتْ دِيَارُهُمُ مِنْهُمْ مُعَطَّلَةً ... وَقَدْ يَكُونُونَ زَيْناً فِي السَّرِيَّاتِ[10]

أَفْنَاهُمُ الدَّهْرُ أَمْ كَلَّتْ سُيُوفُهُمُ ... أَمْ كُلُّ مَنْ عَاشَ أَزْوَادُ الْمَنِيَّاتِ؟[11]

أَصْبَحْتُ أَرْضَىٰ مِنَ الأَقْوَامِ بَعْدَهُمُ ... بَسْطَ الْوُجُوهِ وَإِلْقَاءِ التَّحِيَّاتِ

يَا عَيْنُ فَٱبْكِي أَبَا الشُّعْثِ الشَّجِيَّاتِ ... يَبْكِينَهُ حُسَّراً مِثْلَ الْبَلِيَّاتِ[12]

يَبْكِينَ أَكْرَمَ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ قَدَمٍ ... يُغْوِلْنَهُ بِدُمُوعٍ بَعْدَ عَبَرَاتِ[13]

---

(١) الفيّاض: الكثير المعروف وضخم الدّسيعة، أي: كثير العطاء، والجزيلات: الكثيرات.

(٢) الضريبة: الطبيعة، والمختلق: المعتدل في أموره، وهو بفتح اللام وكسرها، والنحيزة: الطبيعة أيضاً. معناه: مرتفع، ومن رواه: ناءٍ، أي: ناهض.

(٣) البديهة: أول الأمر. والنِّكس: الدَّنيءُ من الرجال، والوكل: الضعيف الذي يتكل على غيره.

(٤) البحبوحة: وسط الشيء، والشُّمُّ: العالية.

(٥) استخرطي: أي استكثري من الدَّمع، والجمّات: المجتمع من الماء، فاستعاره هنا للدمع.

(٦) ردمان: اسم موضع.

(٧) الضريح: وسط القبر، والبلقعة: القفر، وتسفي الرياح: أي تصب عليه التراب.

(٨) الرَّمس: القبر أيضاً، والموماة: القفر.

(٩) الأدم من الإبل: البيض الكرام.

(١٠) السريات: جمع سرية وهي القطعة من الخيل يخرجون للغارة، وكذلك السرايات.

(١١) أزواد المنيّات، ومعناه: أنهم طعام للمنيات، ومن رواه: أوراد المنيات، فمعناه: القوم الذين يردون الموت، شبههم بالذين يردون الماء.

(١٢) الشَّجيّات: الحزينات. وحُسّراً: أي مكشوفات الوجوه، البليّات: جمع بليّة وهي الناقة تحبس على قبر صاحبها، فلا تسقى ولا تعلف حتّى تموت، وكان بعض العرب يزعم أنّ صاحبها يحشر عليها.

(١٣) يُغوِلْنَهُ: يرفعن أصواتهن بالبكاء عليه، والعبرات: الدموع، وكان الوجه أن يقول: عبرات، بتحريك =

يَبْكِينَ شَخْصاً طَوِيلَ الْبَاعِ ذَا فَجَرٍ ... آبِي الْهَضِيمَةِ فَرَّاجَ الْجَلِيلاَتِ[1]

يَبْكِينَ عَمْرَو الْعُلاَ إِذْ حَانَ مَصْرَعُهُ ... سَمْحَ السَّجِيَّةِ بَسَّامَ الْعَشِيَّاتِ (٢٥/ب)[2]

يَبْكِينَهُ مُسْتَكِينَاتٍ عَلَىٰ حَزَنٍ ... يَا طُولَ ذَلِكَ مِنْ حُزْنٍ وَعَوْلاَتِ[3]

يَبْكِينَ لَمَّا جَلاَهُنَّ الزَّمَانُ لَهُ ... خُضْرَ الْخُدُودِ كَأَمْثَالِ الْحَمِيَّاتِ[4]

مُخْتَزِمَاتٍ عَلَىٰ أَوْسَاطِهِنَّ لِمَا ... جَرَّ الزَّمَانُ مِنَ ٱخْدِاثِ الْمُصِيبَاتِ

أَبِيتُ لَيْلِي أُرَاعِي النَّجْمَ مِنْ أَلَمٍ ... أَبْكِي وَتَبْكِي مَعِي شَجْوِي بُنَيَّاتِي

مَا فِي الْقُرُومِ لَهُمْ عِدْلٌ وَلاَ خَطَرٌ ... وَلاَ لِمَنْ تَرَكُوا شَرْوَىٰ بَقِيَّاتِ[5]

أَبْنَاؤُهُمْ خَيْرُ أَبْنَاءٍ وَأَنْفُسُهُمْ ... خَيْرُ النُّفُوسِ لَدَى جَهْدِ الأَلِيَّاتِ[6]

كَمْ وَهَبُوا مِنْ طِمِرٍّ سَابِحٍ أَرِنٍ ... وَمِنْ طِمِرَّةِ نَهْبٍ فِي طِمِرَّاتِ[7]

وَمِنْ سُيُوفٍ مِنَ الْهِنْدِيِّ مُخْلَصَةٍ ... وَمِنْ رِمَاحٍ كَأَشْطَانِ الرَّكِيَّاتِ[8]

وَمِنْ تَوَابِعَ مِمَّا يُفْضِلُونَ بِهَا ... عِنْدَ الْمَسَائِلِ مِنْ بَذْلِ الْعَطِيَّاتِ

فَلَوْ حَسَبْتُ وَأَحْصَى الْحَاسِبُونَ مَعِي ... لَمْ أَقْضِ أَفْعَالَهُمْ تِلْكَ الْهَنِيَّاتِ

هُمُ الْمُدِلُّونَ إِمَّا مَعْشَرٌ فَخَرُوا ... عِنْدَ الْفَخَارِ بِأَنْسَابٍ نَقِيَّاتِ

زَيْنُ الْبُيُوتِ الَّتِي حَلُّوا مَسَاكِنَهَا ... فَأَصْبَحَتْ مِنْهُمُ وَحْشاً خَلِيَّاتِ

أَقُولُ وَالْعَيْنُ لاَ تَرْقَىٰ مَدَامِعُهَا ... لاَ يُبْعِدِ اللّٰهُ أَصْحَابَ الرَّزِيَّاتِ[9]

= الباء، ولكنه خفّفه ضرورة.

(١) الفجر: بالجيم العطاء، وبالخاء المعجمة الفخر. والهضيمة: الذُّل والنَّقص. والجليلات: الأمور العظام. ومن رواه: الجليّات فالمراد به: البينات الظاهرات، وجعلها جليات لما تزول إليه.

(٢) السجية: الطبيعة وبسّام العشيّات: يريد أنه يتبسم عند لقاء الأضياف، لأن الأضياف عندهم أكثر ما يردون عشيّة.

(٣) العولات: جمع عولة وهو البكاء بصوت.

(٤) الحميّات: الإبل التي حميت الماء أي منعته.

(٥) القروم: سادات الناس، وأصله الفحول من الإبل، وعدل: أي مثل، وخطر: أي قدر ورفعة، وشروى: كلمة بمعنى مثل. يقال: هذا شروى هذا أي مثله.

(٦) الألِيّات: الشّدائد التي يقصر الإنسان بسببها، والألِيّات أيضاً: جمع ألِيّة وهي اليمين.

(٧) طِمِر: فرس خفيف، وسابح: أي كأنه يسبح في جريه أي: يعوم، وأرِن نشيط، من الأرن وهو النشاط، والنَّهب: ما انتهب من الغنائم.

(٨) الأشطان: جمع شطن وهو الحبل، والرَّكيّات: جمع رَكيّة وهي البئر.

(٩) لا ترقا مدامعها: أي لا تنقطع وأصله الهمز فخففه في الشعر.

قال ابن هشام: الفجر: العطاء، قال أبو خِرَاشٍ الْهُذَلِيُّ [من الطويل]:

عَجَّفَ أَضْيَافِي جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ بِذِي فَجَرٍ تَأْوِي إِلَيْهِ الأَرَامِلُ

قال ابن إسحاق: أبو الشعث الشجيات: هاشم بن عبد مناف.

عبد المطلب بن هاشم يلي السقاية والرفادة

قال: ثم ولي عبدُ المطلب بن هاشم السِّقَايَةَ والرِّفادة بعد عمه المطلب؛ فأقامَها للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم، وشَرُفَ في قومه شَرَفاً لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبَّهُ قومُه، وعَظُم خَطَرُه فيهم[1]

ذِكْرُ حَفْرِ زَمْزَمَ[2]

ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمُطَّلَبِ بينما هُوَ نَائِمٌ فِي الحِجْرِ إِذْ أُتِى فأُمِرَ بِحَفْرِ زَمْزَمَ.

رؤيا عبد المطلب

قال ابن إسحاق: وكان أَوَّلُ ما ابتدىء به عَبْدُ الْمُطَّلِبِ من حفرها، كما حدثني يَزيد

---

(١) عظم خطره فيهم: أي قدره. ويقال: فيه خطر بالفتح أيضاً.

(٢) اختلفوا لم سميت بذلك؟ فقيل: لكثرة مائها. قال أبو عبيد البكري يقال ماء زمزم وزمزام: أي كثير. وفي «المُوَعب» لابن التيّان: ماء زمزم وزمزام وهو الكثير. وقيل: لتزمزم الماء فيها، وهو حركته. والزمزمة: الصوت يسمع له دويّ. وقيل: لاجتماعها. نقل عن ابن هشام.

وقال مجاهد رحمه الله تعالى: سميت زمزم، لأنها مشتقة من الهزمة. والهزمة: الغمز بالعقب في الأرض. رواه الفاكهي بسند صحيح.

وقيل: لأنها زُمَّت بالميزان لئلا تأخذ يميناً وشمالاً. وقال البكري في معجمه: في زمزم لغات: زمزم بفتح أوله وإسكان ثانيه وفتح الزاي الثانية، وزُمْزِم بضم أوله وفتح ثانيه وتشديده وكسر الزاي الثانية، وزُمَزِم بضم أوله وفتح ثانيه بلا تشديد وكسر الزاي الثانية.

قال أبو ذر رضي الله تعالى عنه: قال رسول الله ﷺ: **«إنها طعام طعم وشفاء سقم»**.

رواه أبو داود الطيالسي والطبراني والبزار، ورجاله رجال الصحيح، ورواه مسلم بدون **«وشفاء سقم»**.

وقال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: قال رسول الله ﷺ: **«ماء زمزم لما شرب له»**.

رجاله موثقون، إلا أنه اختلف في إرساله ووصله، وإرساله أصح كما قاله الحافظ.

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: قال رسول الله ﷺ: **«خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام وشفاء سقم»**.

ويذكر على بعض الألسنة أن فضيلته ما دام في محله، فإذا نقل تغير. قال في المقاصد الحسنة: وهذا شيء لا أصل له، فقد كتب ﷺ إلى سهيل بن عمرو **«إن جاءك كتابي ليلاً فلا تصبحن أو نهاراً فلا تمسين حتى تبعث إليّ بماء زمزم»**. وفيه: أنه بعث له بمزادتين، وكان حينئذ بالمدينة قبل أن تفتح مكة، وهو حديث حسن لشواهده.